Journal of Educational and Psychological Sciences
Volume (6), Issue (21): 30 May 2022
P: 93 - 103
ISSN: 2522-3399
مجلة العلوم التربوية والنفسية
المجلد (6)، العدد (21): 30 مايو 2022م
ص: 93 - 103

A/r/tography: When Ars, Teaching, and Research meet

Maha Ibrahim Alkhudair
King Saud University || KSA

Abstract: There are many aspects of educational research in the field of arts, but a/r/tography comes to establish an identity for those who are artists, teachers, and researchers at the same time. The present review article aims to shed light on a/r/tography and reviews its definitions from different aspects, focusing on how it leads exchanges between text and image, and between practice and theory (Irwin et al., 2008). This research also shows how a/r/tographers who live in the in-between spaces are aware that art, research, and teaching are not done, but rather lived (Irwin et al., 2008). A/r/tographers in their research create a dialogue with fellow a/r/tographers recognizing their role and influence on their production. Since a/r/tography is concerned with the teaching process as one of its aspects, the research sheds light on its great impact on students. The research also touched on the applications of a/r/tography in different countries such as Canada, Iran, Australia, Saudi Arabia, and others. It also touched on its applications in different fields of arts such as literature, theater, and visual arts. Due to the flexibility of the methodology of this research, the researcher encourages its application in the Arab world.

Keywords: A/r/tography, Art education, Living inquiry, Art, Contemporary trends.

الأرتوغرافيا؛ حيث يلتقي الفن والتدريس والبحث العلمي

مها إبراهيم الخضير
جامعة الملك سعود || المملكة العربية السعودية

المستخلص: تعددت أوجه البحوث التربوية في مجال الفنون، ولكن يأتي الأرتوغرافيا a/r/tography ليضع هُويّة لمن هو فنان ومعلم وباحث في الوقت نفسه. هَدِفَ البحث الحالي إلى إلقاء الضوء على الأرتوغرافيا، فيتناول تعاريفه من أوجه مختلفة، مركزاً على أنه يقود تبادلات بين النص والصورة، وبين الممارسة والنظرية (Irwin et al., 2008). يوضح البحث أيضًا كيف أن الأرتوغرافيين الذين يعيشون في المساحات الحدودية على وعي بأن الفن والبحث والتدريس لا يتم القيام بها، بل يتم عيشها. ويخلق الأرتوغرافيون في أبحاثهم حوارًا مع زملائهم الأرتوغرافيين الآخرين، معترفين بدورهم وتأثيرهم على إنتاجهم. كما يوضح هذا البحث أن الأرتوغرافيا بحثٌ حي، ومنهجٌ قائمٌ على الممارسة لا يسعى إلى الإجابة عن أسئلة والحصول على نتائج، بقدر ما يشجع على المتابعة والاستمرار؛ وحيث إن الأرتوغرافيا يعنى بعملية التدريس كأحد جوانبه، فالبحث يلقي الضوء على أثره الكبير على الطلاب. تطرق البحث لتطبيقات الأرتوغرافيا في دول مختلفة مثل كندا، وإيران، وأستراليا، والسعودية، وغيرها، كما تطرق لتطبيقاته على مجالات مختلفة في الفنون مثل الأدب، والمسرح، والفنون التشكيلية. ونظرًا لمرونة منهجية هذا البحث؛ فإن الباحثة تشجع على تطبيقه بشكل أكبر في العالم العربي.

الكلمات المفتاحية: الأرتوغرافيا، التربية الفنية، البحث الحي، الفن، اتجاهات معاصرة.

المقدمة.

يُعدُّ مجال البحث التربوي أحد أهم المجالات التي تتطور عبر الزمن، وتتغير بتغير الظروف المجتمعية، والعلمية والسياسية وغيرها. ويُعد حقل الفنون من أكثر حقوله مرونةً وانفتاحًا لكل ما هو جديد؛ إذ ترتب على هذا الحقل تطور في أساليب الأبحاث التربوية حول العالم قبل أن يصل إلى العالم العربي. حين نتناول المعلم ودوره، نجد أن من أهم خصائص المعلم الناجح؛ أن يكون معطاءً لطلابه، مركزًا في مسيرته الأكاديمية على تطوير مهاراته بوصفه معلمًا. ويظهر ذلك جليًا في حقل التربية الفنية، لكن تركيز المعلم على ذلك جعله يهمل ذاته الفنية، وقد يقمعها أو يخفيها؛ ليتوافق مع ما هو متعارف عن مهنته بوصفه معلمًا (de Cosson, 2004)؛ مما يؤدي به غالبًا إلى تمكين فن الآخرين، كالطلاب على حساب ذاته. حتى عندما يبحث المعلمون فإنهم عادة ما يركزون على ممارسات فنية ليست خاصةً بهم أو بمراسمهم (Wilson, 2004)، وإنما تخص مجال تدريس الفنون. إلا أنه في الآونة الأخيرة زاد اهتمام معلمي التربية الفنية وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات على تحقيق جانب البحث الذاتي الذي يلامس العملية التعليمية بشكل مباشر، وزاد التشجيع على البحث في أعماق الممارسات الفنية الشخصية، وصنع المعنى من خلال العملية التعليمية. ومن الاتجاهات الحديثة والمعاصرة في هذا المجال الأرتوغرافيا، والذي يُعنى بثلاثة جوانب أساسية هي: البحث، والتدريس، والفن.

تؤكد إروِن (Irwin, 2004) أحد المؤسسين لهذا الاتجاه بأن جوهر الأرتوغرافيا كان معنا لفترة طويلة، الأمر المختلف الآن هو أنه أصبح لدينا هوية، وبها تأتي فرصة للتعبير عما أصبحت تعنيه تلك الهوية لكثير من الناس. في هذه الورقة البحثية أقوم بإلقاء الضوء على هذا الموضوع.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في ظهور اتجاه حديث في العالم العربي في مجال التربية الفنية استدعى أهمية التعرف عليه ودراسته. هذا الاتجاه هو الأرتوغرافيا الذي يُعنى بثلاثة جوانب أساسية هي: البحث، والتدريس، والفن. إن دراسة مثل هذا الاتجاه سيفتح آفاقًا جديدة للباحثين، وبخاصةً الأكاديميين في مجال الفنون.

أسئلة البحث:

1- ما اتجاه الأرتوغرافيا؟ وما أثره على العملية التعليمية؟
2- ما أبرز تطبيقات الأرتوغرافيا في مجالات الفنون المختلفة حول العالم؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

1- التعرف على اتجاه الأرتوغرافيا، وأثره في العملية التعليمية.
2- بيان أبرز تطبيقات الأرتوغرافيا في مجالات الفنون المختلفة حول العالم.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث الحالي إلى الآتي:

1- إلقاء الضوء على الاتجاه الأرتوغرافي كأحد الاتجاهات البحثية المعاصرة في مجال التربية الفنية عالميًا.
2- يسهم التعريف الأرتوغرافيا بفتح المجال للباحثين للتعمق في جوانب لم يتم التطرق لها من قبل.

مصطلحات البحث:

- **الأرتوغرافيا A/r/tography**؛ يُعد مصطلح الأرتوغرافيا مستحدثًا؛ حيث إن من أول الباحثات اللاتي أبرزنه والتي هي أيضا أحد مؤسسي هذا الاتجاه هي ريتا إروِن عام 2004 (Irwin, 2004). والمصطلح في الأصل مأخوذ من اللغة الإنجليزية، ويكتب A/r/tography بوضع الخطوط المائلة التي تفصل الأحرف الثلاثة الأولى بشكل مقصود؛ لتظهر التعادل في مقدار أهمية الهويات التي يرمز إليها كل حرف، والتي ترمز إلى الفنان (artist)، والباحث (researcher)، والمعلم (teacher) (Mohammed, 2018).
- **البحث الحي:** مصطلح البحث الحي يُعد أيضا حديث عهد؛ فقد عرفته إروِن وآخرون (Irwin et al., 2008) بأنه "التزام حياتي للفن والتعليم متمثلًا في البحث بطرق نظرية وعملية وفنية، لصنع معنى من خلال أساليب اندماج فيها تكرار وانعكاس وتجاوب وفي نفس الوقت صمود" (ص. xxix).
- أما مير (Meyer, 2010) فترى أن البحث الحي ببساطة هو:" البحث عن كيفية التعايش مع جودة الوعي التي ترى كل جديد، والحقيقة والجمال في الحياة اليومية" (ص165).

2- الدراسات السابقة.

ناقشت بعض الدراسات تطبيقات للأرتوغرافيا على مجالات مختلفة في الفنون، كالأدب، والمسرح، وغيرها. ومنها:

- **اعتمدت دراسة لكارتر وآخرون (Carter et al., 2011)** بشكل خاص على النهج التربوي لأستاذ جامعي كان يعمل مع عشرة معلمين، مركزًا على مهمة أرتوغرافية تسمى "المشروع المعقد"، التي قامت بها المجموعة كجزء من مقرر دراسي لأساليب منهج المسرح. وبما أن الطلاب شعروا بأن صنع المعنى "وُعد لهم"، فقد أصبح هذا المفهوم موضوعًا مركزيًا في عملهم، كما تضمن إطار العمل أقسامًا تسلط الضوء على ست ميزات ضرورية لفهم الأرتوغرافيا كعلم لأصول التربية في التعليم المسرحي، وفي هذه الدراسة، لم تكن مهمة الأرتوغرافيا توصيفًا تدريسيًا مخصصًا للمعلمين المرشحين للتكرار في الفصول الدراسية بالمدرسة الثانوية، ولكنها كانت بمثابة نهج تربوي للمعلمين المرشحين ليصبحوا تربويين. كانت إحدى النتائج الأولية أنه حين قدم المعلم للطلاب الكثير من الخيارات والتوقعات أثناء عملية إنشاء المسرحية وَجد أنه بذلك قد خطّط خلالها للعام التالي لتزويد المعلمين المرشحين بعملية مماثلة، ولكن مع بعض الزيادات القليلة. من خلال عملية المشاركة في إنشاء مسرحية غير مكتوبة تعتمد على الترابط بين بضع كلمات مستخدمة، استكشف الطلاب مساحات "الما-بين". وقادت المعلمين مهمة الأرتوغرافيا موضوع الدراسة إلى أماكن الاكتشافات وعدم الراحة؛ حيث كانوا يتفاوضون باستمرار حول طرق جديدة ليكونوا معًا، وللمشاركة في إنشاء فن كان يتغير باستمرار، ولرؤية انصهار كلمات وشخصيات ونظريات غير مرتبطة تجتمع معًا، وبالتالي يعدونهم لتقدير تعقيدات التعلم والعيش في عالم بلا ضمانات.
- **وفي دراسة أخرى حول الفنون المسرحية لبينديكسون وآخرون (Bendiksen et al., 2019)**، كان الهدف منها استكشاف ما تقدمه الأبعاد الثلاثة؛ الفن، والتدريس، والبحث من صنع للمعنى، مقدمة بعدسة أرتوغرافية ومرئية في ثلاثة أحداث تعليمية جرى إنشاؤها من خلال أنشطة الكتابة المسرحية. وهنا نلاحظ أهمية التركيز على صناعة المعنى، وهي العملية التي يقوم الأفراد من خلالها بفهم المعرفة والتجارب والعلاقات والذات، وهذه العملية تكون نابعة من الثقافة، والحالة، والتعليم، والتجارب.
- **وفي دراسة أخرى قامت بها شايا (Irwin et al., 2017)** في كندا وإيران، قدمت مساهمة جديدة حول الأرتوغرافيا، معتمدة على إطار ما بعد الاستعمار وإشكالية المساحات الاستعمارية والسياسية في "الما-بين" من

خلال سردياتها الشخصية المرئية والنصية. قامت الدارسة بتسليط الضوء على أهمية الارتباط الحسي مع ما هو تاريخي وسياسي معًا، وفي المساحات البصرية والنصية الأدائية والمعيشية من البحث الأرتوغرافي. لقد حاولت أداء وتقديم منظور جديد للعملية والنتائج الأرتوغرافية؛ لتصبح تربوية من خلال البحث والتحقيق في موضوعات "الآخر المختلف" Othering (Said, 19978, 1996)، وإضفاء الطابع الغريب على المساحات التربوية الشمولية أو المستبعدة الحساسية وإبرازها في "الما-بين".

- **أحد الأمثلة للاتجاه الأرتوغرافي للباحثة إروِن وآخرون (Irwin et al., 2009)** هو مشروع مدينة ريتشموند؛ حيث كانت العينة ثمان عوائل مهاجرة جرى دراسة تجاربهم وسردياتهم من خلال عملية تربوية بمشاركة المجتمع، وكان المنهج البحثي المتبع هو الأرتوغرافيا. كانت البيانات التي جُمعت من العوائل التي تحت الدراسة تتضمن صورًا وكتابات؛ بحيث جرى جمع جميع الصور، وإنشاء لوحات كبيرة منها. كان المشروع على عدة مراحل؛ حيث أثبتت المرحلة الأولى قوة الصورة، وبالتالي قوة دور الأرتوغرافيا. ساعد العمل بالمشروع بين الأرتوغرافيين وأفراد المجتمع المشارك في صناعة معنى من خلال البحث الأرتوغرافي، وجرى عرضه كموقف فني تعليمي. المرحلة الثانية تضمنت تحديد الأماكن ذات الأهمية لدى العوائل في مدينة ريتشموند. بعد تحليل البيانات، كانت النتيجة أعمالًا فنية تحمل أفكار هذه العوائل، وجرى عرض هذه الأعمال في معرض فني على امتداد المدينة، نتج عنه عملية تربوية عامة. كان المعرض يطرح تساؤلات حول إمكانية تفعيل مراكز اجتماعية متعددة في المدينة؛ عوضًا عن مركز اجتماعي واحد؛ لكي تكون في تغيير مستمر، عاكسة أسلوب حياة الأفراد الذين يعيشون حولها باختلافاتهم الثقافية.

3- منهجية البحث.

يتّبع البحث الحالي المنهج الوصفي المسحي لدراسة اتجاه الأرتوغرافيا؛ لإبراز أهم جوانبه، ونوع العلاقة بين هذه الجوانب. كما يتّبع المنهج التاريخي في تتبع بداية ظهور اتجاه الأرتوغرافيا وتطور انتشار ممارساته حول العالم.

هيكلة البحث:

تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ وعلى النحو الآتي:

- المقدمة: وتضمنت ما سبق.
- المبحث الأول: الإطار النظري للبحث.
- المبحث الثاني: العملية البحثية في الأرتوغرافيا وأثره في تعليم الفنون.
- الخاتمة: خلاصة بأهم النتائج، التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول- الإطار النظري

المطلب الأول- مفهوم الأرتوغرافيا

تعددت وجهات نظر الباحثين فيما يمكن اعتبار الأرتوغرافيا؛ فمنهم من عدّه منهجًا بحثيًا، ومنهم من عدّه نظرية. فقد عدَّ ليغو وآخرون (Leggo et al., 2011) في دراسة لهم الأرتوغرافيا شكلًا من أشكال البحث القائم على الممارسة؛ لأنه يعتمد على الممارسات البحثية الخاصة بالفنانين الباحثين المعلمين، وجرى التأكيد على هذه الفكرة في الخطوط المائلة التي تفصل (a) و(r) و(t) التي ترمز إلى الفنان (artist)، والباحث (researcher)، والمعلم (teacher)، بل إنها أكبر من ذلك، فهي أيضًا تعبر عن الفنون (arts)، وغرافيا (graphy)؛ لتجمع بين الفن والكتابة. وأكد باحثو

الدراسة أنها منهج بحثي قائم على ممارسة الفنون والتعليم، وأعمال البحث والاستكشاف من خلال الأعمال الفنية والكتابة. كما أكدوا على أن ممارسة الأرتوغرافيا هي أن تكون ملتزمًا بالبحث المستمر من خلال الفن والكتابة مجتمعين وليسا منفصلين أو لا يصفان بعضهما البعض، بل يعملان معًا لخلق فهم جديد. يشجع التفسير والعرض الفنيّان فضلًا عن الحوار المكتوب على البحث الحي؛ حيث يقوم الأرتوغرافيون والمشاركون في البحث بطرح أسئلة بشكل مستمر، والبحث عن فهم جديد، واستحداث تفسيرات جديدة. كل ذلك في محاولة خلق معرفة جديدة، ولكن قبل كل شيء، يسعى الشخص الأرتوغرافي برأيه إلى أن يكون منفتحًا للمفاجئات والغموض والعجب. أما إروِن (Irwin, 2004) أحد أبرز المؤسسين لهذا الاتجاه، فتقول: "أن تعيش حياة فنان والذي هو أيضاً باحث ومعلم، هو أن تعيش حياة من الوعي، حياة تدرك فيها الأشياء بشكل مختلف" (ص 33).

من منظور آخر تقول إروِن (Irwin, 2004):

"نظرية كالأرتوغرافيا هي "كالتهجين"، فهي طريقة أحدنا الذي يعيش في الحدود، الذي يندمج بالإبداع مع نفسه والآخرين حين نعيد تخيل تاريخ حياتنا خلال الزمن. الأرتوغرافيا هي شكل يمنح تعزيزًا لكلٍ من النص والصورة عندما يلتقيان في غضون لحظات من "التهجين". لكن الأهم من ذلك كله، أن الأرتوغرافيا هي أن يعيش كل منّا حياة ذات معنى عميق من خلال ممارسات إدراكية تكشف ما كان مخفيًا، وتخلق ما لم يكن معروفًا، وتتخيل ما نأمل في تحقيقه" (ص 35).

فالعيش في الحدود بين الفن والبحث والتدريس يخلق الجديد، ويعزز الخيال، ويقدر إبراز المعنى. وصف بعض الباحثين الأرتوغرافيا بالقطعة الفنية الحية، وآخرون بالبحث الحي. فترى هيتون (Heaton, 2018) أن الأرتوغرافيا هي قطعة فنية حيّة نمت على مراحل، وهذا يتطلب إسهامات الآخرين لتنمو هذه القطعة الحية أكثر. ومن الجانب الإدراكي، فهي ترى أن الأرتوغرافيا يشمل إدراك الفنان المعلم، ومن جانب المنهج البحثي، هي التجربة التي يحدث فيها الإدراك. ففي معرضها الذي أعدّته كانت تهدف إلى تصوير وتمثيل الإدراك في ممارسة الفنان المعلم أثناء إنشاء والتقاط "المعالجة الإدراكية" cognitive curation كمصطلح وفعل. كان عملها استجابة لإحدى توصيات سيغنثالير(Siegenthaler, 2013)، للنظر في كيف يمكن لبحث في التربية الفنية أن يصنع جسر التغيير من خلال الممارسة الفنية، ويمتد التغيير إلى مساحات تتجاوز المعرض، ويكون له تأثير واقعي واجتماعي وجمالي. كانت تأمل الباحثة في تحقيق هذا التغيير والتأثير في تجربة فنية ذات علاقة بين منهجية أرتوغرافية وأخرى أوتوإثنوغرافية، التي جعلت من ممارسة المعلم الفنان بمثابة البحث الحي.

ومن منظور آخر من العالم العربي، تعرف النويصر (2019) الأرتوغرافيا بأنه:

"ممارسة حيّة وحرّة، تعنى بالنشاط الواعي واللاواعي للفنانين والقائمين على تدريس الفن، وكذلك الباحثين في الفن، وتجعلهم أكثر استبصارًا وتعمّقًا في التفكير في نوع الخبرة والتفاعل القائم بينهم وبين أي طرف مرتبط بممارساتهم، سواء كانت تلك الممارسات هي تدريسية وما يتعلّق فيها من تحضير واستعداد بالقراءة وتجميع المصادر لنقل المعرفة أو التدريب على التنقية العملية، أو تكون ممارسة بحثية، سواء بالملاحظة والقراءة المتعمّقة والتحليل والتطبيق، أو ممارسة فنّية، سواء بالتغذية البصرية أو باكتشاف التقنية أو الخامة وتطبيقها أو تحليل الأعمال الفنية ونقدها" (ص39).

بناء على التعاريف السابقة تعرف الباحثة الأرتوغرافيا بأنه اتجاه بحثي قائم على التعليم وممارسة الفن في آن واحد. كما أنه يعد بحث حي حيث أن الباحث يعيشه وليس فقط يقوم به، فهو يعيش حالة وعي كمعلم لإدراك ما حوله بشكل مختلف فيطرح التساؤلات بشكل مستمر ويبحث عن فهم جديد ومعنى عميق في حياته ليخلق معرفة جديدة ويكشف جوانب لم يتم البحث فيها من قبل.

المطلب الثاني- المساحات الما-بينية

يتصف كل من الباحث والمعلم والفنان بصفات تميزهم وتساعدهم على تحقيق أهدافهم، لكن حين تجتمع الصفات والأهداف في شخصية واحدة يكون الإنتاج مختلفًا، وهذا ما يميز الأرتوغرافيين. ويوضح ليغو وآخرون (Leggo et al., 2011) بأنه "بصفتنا باحثين ومعلمين، تعلمنا أن نعي بأن كوننا فنانين فإن هذا دائمًا مرتبط بشكل متكامل ولا ينفصل، بأساليب حياتنا وعيشنا وبحثنا داخل الفصل. كما أننا نتناول الأسئلة المستمرة حول طبيعة البحث، وحول الخبرات التي يمكن البحث فيها، وحول هوايات الباحثين، وتعلمنا أنه يمكننا أن نكون أكثر وعيًا وأحيا ضميرًا، ملتزمين بالبحث القائم على الممارسة، من خلال معرفتنا بكيفية احترام الأرتوغرافيا لعملية البحث الحي؛ حيث نركز على المساحات الحدّية في الما- بين". هذه المساحات الحدّية الواقعة بين الفن والبحث والتدريس (شكل رقم 1).

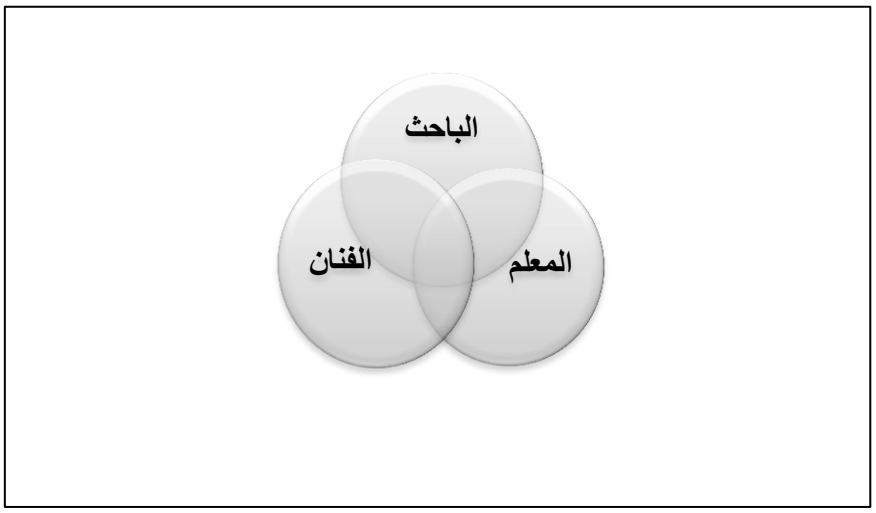

شكل رقم (1) الحدود الأرتوغرافية

ذكرت ماكدونلد من أستراليا (Irwin et al., 2008) أنها بعد بحث الدكتوراه، وجدت نفسها تتعمق أكثر في المساحات العابرة بين صنع الفن والبحث، ووجدت أن استخدام الممارسة الإبداعية في مثل هذه الطرق للنظر إلى المشكلات وحل نقاط الخلاف أو الغموض في صناعة الفن والبحث والتدريس، يمكن أن يساعد في جعل الأفكار ملموسة والحصول على النتائج أكثر سهولة، إلا أن ماكدونلد تنبه إلى أنه يمكن أن تتجلى الحدود بين صناعة الفن والبحث والتدريس دون إدراك، وبذلك تصبح إمكانية تحرير حدود الممارسة وتغييرها مقيدة. وأن في المساحات والحدود التي نخلقها بين صنع الفن والبحث والتعليم، يمكن استخدام الممارسة الإبداعية لاستقراء أماكن الترقب والقلق، وعدم التيقن، وحتى الخوف. وهنا تقصد ماكدونلد تتبع الجزئيات للوصول إلى النتيجة الكلية، وبالتالي يتكشف الكثير من حياتنا في هذه الأماكن الغامضة. أوضحت إروِن وآخرون (Irwin et al., 2008) أن الأرتوغرافيا كبحث مبني على الممارسة، يقع في "الما-بين"؛ حيث لا تترك النظرية، كممارسة وعملية تعقيد، الإدراك والمعرفة عمدًا على استقرار أثناء البحث الحي. وتضيف إروِن قائلة: "إن أولئك الذين يعيشون في المساحات الحدودية لـ a / r / t يدركون حيوية العيش في مساحة بينية. ويدركون أيضًا أن الفن والبحث والتدريس لا يتم القيام به، بل يتم عيشه" (ص33)؛ لذلك وُصف الأرتوغرافيا بالبحث الحي.

إن ممارسة البحث الحي ليست دائمًا عملية سهلة؛ فعلى سبيل المثال ترى دايهوف (Dayhoff, 2011) أن العمل في قضايا تتعلق بهدف حياتي وعملي، من خلال صنع الفن، يضفي الوضوح على عملية صنع القرار، والتي من

الصعب فهمها؛ لأنها غامضة ومجردة وغير مريحة من نواحٍ كثيرة. وتوضح أكثر أن المنهج القائم على الممارسة أو/ وعلى البحث، لا يسعى للإجابة عن الأسئلة أو تقديم تعليمات إجرائية تؤدي إلى نتائج دقيقة عامة، بل إنها ممارسة للبحث الحي الذي يكمن في الشد بين المساحات والمتابعة والاستمرار والاعتراف بأن "عدم الراحة" مكانٌ للتعلم.

المطلب الثالث- أهمية العلاقات بين الأرتوغرافيين:

من أهم الجوانب التي نوهت بها إروِن وآخرون (Irwin et al., 2008) في دراستهم حول الأرتوغرافيا، أهمية العلاقات بين المعلمين والطلاب والمجتمع، وبين أفراد كل من هذه الفئات، وينطبق ذلك أيضًا على الفنانين والمتلقين والمؤسسات. فقد أكدت إروِن وآخرون على أهمية العلاقات في مجتمعات الممارسة الفنية؛ لأن الفنانين برأيهم لا يَخلُقون من الفراغ، وأن من الضروري أن ترتبط أعمالهم بأعمال الآخرين، ويقوموا بالتنظير داخل مجتمعاتهم. كما يرون بأنه سواءً كان فنانًا أو معلمًا أو باحثًا، فإن الأرتوغرافيين يعترفون بأعمال الآخرين في توثيقهم لأعمالهم الخاصة. وأضافت إروِن وآخرون (Irwin et al., 2008) أنه في حين أن الأرتوغرافيا هي في الأصل عن الذات، فهي أيضًا تدور حول مجتمعات من الأرتوغرافيين يعملون معًا في بحوث مشتركة، ويوضحون بشكل مفصلي، التطور في أسئلة البحث وأداء الأعمال المثيرة للآخرين. واستنتجوا أنه باستعمال هذه الطريقة، فإن أحد شروط الأرتوغرافيا هو ذلك البحث الجمالي الذي يقود التبادلات بين النص والفن، وكذلك بين الممارسة والنظرية.

نظرًا لكون الأرتوغرافيين يعملون معًا، وأبحاثهم مشتركة، فإننا نجد أسلوبهم في البحث غالبًا مختلفًا عما هو معتاد. فعلى سبيل المثال، تصف الباحثة سولفان (Sullivan, 2008) أبحاث الأرتوغرافيين بأنها ليست أوراقًا بحثية مقدمة في مؤتمر أو تقارير بحثية يجب طباعتها؛ حيث إن المناقشات العامة "للتحدث إلى" الجمهور مستخدَمة بشكل أقل، وعوضًا عنه، يفضل المحررون والمؤلفون المسهمون في هذه المختارات الأرتوغرافية "التحدث مع" أولئك الذين سينضمون إليهم في النقاش.

المبحث الثاني- العملية البحثية في الأرتوغرافيا وأثره في تعليم الفنون.

المطلب الأول- العملية البحثية في الأرتوغرافيا

حين نطلع على البحوث النوعية في المجالات الإنسانية، في العالم العربي، نجد أن أسلوب الكتابة في الغالب بعيدٌ عن إظهار شخصية الباحثين أو الخوض في دواخلهم، وكان هذا هو الأسلوب السائد لدى الباحثين الغربيين؛ إذ كانت الفكرة السابقة لديهم توجب إبعاد الباحثين عن عملهم، أي وضع حد بينهم وبين البحث الذي يقومون بكتابته، ويفصلون أنفسهم، إلا أن هذا الأسلوب أصبح موضع تساؤل في السنوات الأخيرة (Lymburner, 2004, p.79). في البحوث الأرتوغرافية، وإن كانت تركز على الجانب الذاتي، لا يتخلى الباحث فيها عن أساسيات البحث من سؤال، وجمع بيانات، والتفسير، ومشاركة التجارب الشخصية. فالأرتوغرافيا يفتح خيال الباحثين الإبداعي وفضولهم الفكري للتعامل مع التجارب المعقدة المتكاملة (Springgay et al., 2005).

يرى ليغو وآخرون (Leggo et al., 2011) أن من مزايا اتباع الأرتوغرافيا للبحث الحي أنه يحافظ على أن يكون البحث منفتحًا للتفسير، والبناء، ومزيدًا من التطوير عبر الزمن، ويقدم منظورًا مختلفًا جدًا من الشريحة الزمنية داخل ثقافة موصوفة ومفسرة من خلال الأساليب الإثنوغرافية. عبر انخراطهم في المصادر والتفسيرات التي تولد مفاهيم جديدة للأرتوغرافيا، فضلًا عن تعقيدات العمل في المجال كأرتوغرافيين، فإنهم يواصلون استكشاف كيفية التعبير الفني في البحث خارج حدود المألوف؛ للفت الانتباه إلى مساحة ثالثة؛ حيث تظهر الممارسات المبتكرة. إن في البحث الحي بمنظور ليغو وآخرون (Leggo et al., 2011) طريقة شاملة في طرح بحث ديناميكي سلس، وليس

جامدًا ومغلقًا. لذا فأن تكون باحثاً أرتوغرافياً ليس ملصقًا يوضع على موقعٍ ونتركه خلفنا بمجرد الانتهاء من الدراسة، مع الشعور بأننا على صواب؛ لأننا اتبعنا خطوات محددة مسبقًا، وقائمة مرجعية بالمتطلبات لإجراء بحث جيد (Springgay et al., 2005). فالأرتوغرافيا يفتح خيال الباحثين، ويخرجهم عن المألوف ويمنحهم فرصًا أوسع للتساؤلات والاستمرار في البحث.

المطلب الثاني- الأرتوغرافيا وأثره في تعليم الفنون

إن ممارسة الفن وإنتاجه جزءٌ مهمٌ من البحث لمعلمي الفنون الذين هم أيضًا فنانون؛ حيث إنه من خلال تضمين النشاط الفني يمكن التعمق في جوانب معينة في الذات لا يستطيع المعلم الفنان وصفها بشكل مناسب بالكلمات (Irwin, 2004). المعلمون الأرتوغرافيون ليسوا كأي معلمين في مجال التربية الفنية، فهم يعدون أنفسهم "أرتوغرافيين" أولئك الأفراد الذين يلتزمون بما يمثل التعلم والتعليم والفهم والتفسير داخل مجتمعات الدارسين (Irwin et al., 2008). فهم يستمرون بالبحث والتعلم بشكل مشترك مع زملائهم الأرتوغرافيين وطلابهم.

ركزت الباحثة دايهوف (Dayhoff, 2011) على تصميم المناهج الدراسية وأهمية دور الأرتوغرافيا في تطويرها. وحجتها في ذلك أن المنظور الأرتوغرافي جديرٌ بالاهتمام كدليل لتصميم المنهج الدراسي في التربية الفنية. وهي لا تقترح الأرتوغرافيا كأسلوب لتصميم المنهج الدراسي، لكن تُذكّر بأن تصميم المنهج هو هدف للتدريس، والتدريس هو أحد جوانب الأرتوغرافيا الأساسية. وتعتقد دايهوف أن المنهج الدراسي للتربية الفنية حين يُجرى تصميمه من قبل شخص أرتوغرافي وإصداره للتطبيق، يوفر للطلاب الفنانين القدرة على حل المشكلات التي تلتقي بالمعايير الشاملة للمجال، وتخلق معنى أعمق في حياتهم؛ لأنهم أيضًا سيتنقلون بين كونهم فنانين وباحثين ومعلمين، بناء على خبرة مصممي المناهج الأرتوغرافيين. وتضيف دايهوف (Dayhoff, 2011) بأن تصميم منهج دراسي ذي معنى فيه تحدٍ للعديد من معلمي الفنون الذين يسعون جاهدين للإبداع في برامج فنون بصرية ذات صلة بالمناهج الدراسية، إلا أن أولئك الذين يعيشون كأرتوغرافيين هم على الأغلب من سيصنعون خبرات تعليمية تشجع الطلاب على الانتقال إلى عالم الفنان والباحث والمعلم بأنفسهم. وتؤكد الباحثة أن الأعمال الفنية التي جرى إنشاؤها في سياق دمج العناصر الثلاثة لهذا المنهج الأرتوغرافي تتطور لتخلق مخرجات فريدة وفردية وذات معنى؛ لأن الأرتوغرافيا لا يسعى لإيجاد حلول، ولكنه بدلًا من ذلك يشجع البحث الحي، وعليه، فهي تساعد الطلاب على وعي بعض المفاهيم التي تبدأ في غرفة الصف الدراسي، ولكن تستمر معهم لصنع معنى في حياتهم.

في إحدى الدراسات التي أُجريت على معلمة أرتوغرافية، بوصفها مثالًا على التزام الأرتوغرافيين في دعم الآخرين؛ لكي يتطوروا في تنمية الرغبة والثقة في أدائهم، اتضح أنها تدعو طلابها إلى الكتابة بطريقة إبداعية وتعبيرية وتقصٍّ دقيق، وتشجعهم على المخاطرة والتجريب مع حوارات متنوعة؛ لتحدي المألوف، والبحث عن الحقيقة (Leggo et al., 2011). من الناحية المثالية، في حصص الكتابة الأدبية الخاصة بها، فهي تريد تطوير مجتمع نابضٍ بالحياة؛ حيث اختلاف الآراء، وحيث يمكن الاحتفاء بالمعتقدات والتجارب والشخصيات. فهي وطلابها يكتبون ويتشاركون كتاباتهم مع بعضهم البعض، ويروون قصصًا عن حياتهم، وينمّون ثقة أكثر في قوة الكلمات في كتابة قصصهم التي عاشوها، ويخلقون إمكانيات لمزيد من القصص التي تعزز حياتهم. وتوصل الباحثون إلى أن هذه المعلمة ليست أرتوغرافية فقط، بل هي تدعو طلابها ليكونوا أرتوغرافيين أيضًا؛ لأن الباحثين والمعلمين والطلاب جميعًا تعلموا في نهاية الأمر أنهم حين يشاركوا بصدق وحيوية في مجتمع تعليمي وتعلّم إبداعي، فهم يعيشون بأرتوغرافية.

في دراسة أخرى (Pinar, 2004) لمعلم أرتوغرافي آخر في إحدى المدارس؛ حيث كان يشجع طلابه بطرح الأسئلة الصعبة والتعمق في الاستكشاف من أجل فهم أكبر وأعمق، وجعل المكان مهيأً لذلك، فأصبح الفصل الدراسي بمثابة

الأستوديو. كان ذلك المعلم الأرتوغرافي قادرًا على خلق مساحة للطلاب للتحدث بشكل مباشر وشخصي، فبدأ الطلاب البقاء في المدرسة بمن فيهم أولئك الذين لم يكونوا يحرصون على البقاء بعد الدوام الرسمي، ما لم يجري إلزامهم بذلك. كما أصبح الطلاب ينظرون لأنفسهم بوصفهم فنانين، وأن هذا المكان مكانهم، وأصبح التركيز ليس على المنتج النهائي، لكن على التجربة الفنية ذاتها، وما ينتج عنها من تعمّقٍ فكري ومعرفي، فضلًا عن المدارك الجديدة التي تتفتح في أذهان هؤلاء الطلاب.

المطلب الثالث- مناقشة النتائج

يُعد اتجاه الأرتوغرافيا حديثًا في العالم العربي، فبعد البحث والتقصي، لم تجد الباحثة سوى دراسة واحدة تطرقت له، وهي رسالة دكتوراه (النويصر، 2019) من جامعة الملك سعود بالرياض؛ حيث كان أفراد العينة من أعضاء هيئة تدريس من جامعتين سعوديتين. كان أحد أهداف البحث هو التركيز على واقع الممارسة الفنية لأفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس لمقررات التصميم الجرافيكي بهاتين الجامعتين ودورها كأحد جوانب الأرتوغرافيا. من خلال النتائج الإحصائية للبحث، وجدت النويصر أن أغلب أفراد العينة مارسوا جميع جوانب الأرتوغرافيا الثلاثة، وهي التدريس، وممارسة الفن، والبحث. وربما أنهم قد سلكوا الاتجاه الأرتوغرافي دون وعي بهذه الهوية الحديثة.

أشارت إحدى مؤسسي اتجاه الأرتوغرافيا إروِن (Irwin et al., 2017) إلى تشبيه الباحث أُدُنوف (O'Donoghue, 2011) لخريطة العالم بلحاف مرقع بأحجام مختلفة من الأقمشة، وحدود مخيطة مُعاد تشكيلها، وتنوع في الألوان والملمس؛ حيث إن عينة بحثها كانت مثل ذلك اللحاف بالتنوع، وليست في موقع واحد، بل في بلدان مختلفة جرى الإشارة إليها في هذه الورقة البحثية. إن ذلك يعزز، بالنسبة لها، أن التربية الفنية، عالميًا تحتاج إلى الاستجابة باستمرار للمخاوف والتحديات المحلية والعالمية، مع الاعتراف في الوقت نفسه بالفرصة المتوفرة لنا من خلال المشاركة الفنية والتربوية. وتضيف إروِن (Irwin et al., 2017) بأن المساحات البينية الشاسعة التي قد تبدو موجودة بيننا جسديًا وجغرافيًا وثقافيًا واقتصاديًا، يجب ألا تُرفض، بل يجب مواجهتها من خلال أبحاثنا المستمرة حول كيفية العيش معًا في سياقاتنا المحلية والعالمية، وقد نعود إلى مثل هذه الأماكن؛ حيث يمكننا التعلم منها ومعها، ومع الآخرين من أجزاء كثيرة من العالم.

كانت إروِن تهدف في بحثها إلى التعرف على استخدام الأرتوغرافيا داخل شبكة التربية الفنية العالمية، والبدء في تقدير كيف يمكن استخدام الأرتوغرافيا لتنشيط الأسئلة المستمرة، علاوةً على الأسئلة الجديدة التي تواجه معلمي التربية الفنية، بغض النظر عن المكان الذي يعيشون فيه في العالم اليوم. مدركين في الوقت نفسه كيف ألهمَ الأرتوغرافيا معلمي التربية الفنية حول العالم لفحص المشكلات الصعبة والأسئلة الدائمة، وكيفية استمراره في إثراء ممارساتنا، مع السماح له بالتوسع والتعقيد والتغيير، بطريقة مماثلة للفن نفسه.

الخاتمة.

تؤكد آبي ماكدونالد من أستراليا (Irwin et al., 2017) أن رحلة أن تصبح فنانًا وباحثًا ومعلمًا لا تخلو من معاناتها، لكن هذه النضالات ضرورية وذات أهمية حاسمة؛ إذ تمكننا في النهاية من حل مشكلات في الخطوات المتخذة للتغلب على التحديات، ويمكن أن تتيح العملية نفسها فرصة غنية للتعلم. تدعو الأرتوغرافيا إلى أسلوب حديث للأكاديميين الفنانين، أسلوب ذي مرونة واستمرارية وجرأة يفتح آفاقًا جديدة للمتعلمين. وبالرغم من التطور والتوسع السريع والكبير في مجال الأبحاث التربوية في العالم العربي فإنه يتضح قلة وشبه انعدام وجود أبحاث اتبعت

الاتجاه الأرتوغرافي كما في الأبحاث التي جرى عرضها في هذه الورقة البحثية، فهل ذلك كونها دراسة ذاتية؟ وهل للثقافة ومناهج الأبحاث التربوية في العالم العربي دور في ذلك؟

التوصيات والمقترحات.

توصي الباحثة بأهمية تشجيع الباحثين الأكاديميين في مجال الفنون على اتباع الأسلوب الأرتوغرافي في أبحاثهم للحصول على نتائج جديدة مميزة ومختلفة عما هو مألوف لإثراء حصيلة البحث العلمي لمجال الفنون في العالم العربي.

قائمة المراجع.

أولاً- المراجع بالعربية:

- النويصر، هيفاء إبراهيم. (2019). دور الاتجاه الأرتوغرافي في تطوير الصياغات التشكيلية للأعمال الفنية الرقمية في أقسام الفنون والتربية الفنية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ثانياً- المراجع بالإنجليزية:

- Bendiksen, S. Å., Østern, A. L., & Belliveau, G. (2019). Literacy Events in Writing Play workshops with children aged three to five: a study of agential cuts with the artographic triple dimensions as a lens. International Journal of Education & the Arts, 20(3). Retrieved from https://doi.org/10.18113/P8ijea20n3
- Carter, M., Beare, D., Belliveau, G., & Irwin, R. L. (2011). A/r/tography as Pedagogy: A Promise without Guarantee. Canadian Review of Art Education: Research and Issues, 38, 17-32.
- Dayhoff, D. L. (2011). One Art Teacher's Journey into Curriculum Review and Revision. Corcoran College of Art+ Design.
- de Cosson, Alex. (2004). The Hermeneutic Dialogic: Finding Patterns Midst the Aporia of the Artist/ Researcher/ Teacher. In Irwin, R. L., & De Cosson, A. (Eds.). (2004). A/r/tography: Rendering self through arts-based living inquiry. Pacific Educational Press.
- Heaton, R. (2018). Autoethnography to artography: An exhibition of cognition in artist teacher practice (Doctoral dissertation, University of Cambridge).
- Irwin, R. L., & De Cosson, A. (Eds.). (2004). A/r/tography: Rendering self through arts-based living inquiry. Pacific Educational Press.
- Irwin, R. L., Bickel, B., Triggs, V., Springgay, S., Beer, R., Grauer, K., ... &Sameshima, P. (2009). The city of Richgate: A/r/tographic cartography as public pedagogy. International Journal of Art & Design Education, 28(1), 61-70.

- Irwin, R. L., Pardiñas, M. J. A., Barney, D. T., Chen, J. C. H., Dias, B., Golparian, S., & MacDonald, A. (2017). A/r/tography Around the World. In The Palgrave handbook of global arts education (pp. 475-496). Palgrave Macmillan, London.
- Irwin, Rita (2004). A/r/tography: A Metonymic Metissage. In Irwin, R. L., & De Cosson, A. (Eds.). (2004). A/r/tography: Rendering self through arts-based living inquiry. Pacific Educational Press.
- Irwin, Rita (2008). Communities of A/r/tographic Practice. In Springgay, S., Irwin, R. L., Leggo, C., &Gouzouasis, P. (2008). Being with a/r/tography. BRILL.
- Leggo, C., Sinner, A. E., Irwin, R. L., Pantaleo, K., Gouzouasis, P., &Grauer, K. (2011). Lingering in liminal spaces: A/r/tography as living inquiry in a language arts class. International Journal of Qualitative Studies in Education, 24(2), 239-256.
- Lymburner, L. (2004). Interwoven Threads: Theory, Practice, and research Coming Together. In Irwin, R. L., & De Cosson, A. (Eds.). (2004). A/r/tography: Rendering self through arts-based living inquiry. Pacific Educational Press.
- Meyer, K. (2010). Living inquiry: Me, myself, and other. Journal of Curriculum Theorizing, 26(1), 85-96.
- Mohammed, R. (2018). Tapping into Creativity: A/R/Tography as a Research Methodology Underpinning Teacher Education. Research in Teacher Education, 8(2), 18-22.
- O'Donoghue, D. (2011). The return to pedagogy: Art, research and education. The Canadian Review of Art Education, 38(1), 1-5.
- Pinar, William (2004). Foreword. In Irwin, R. L., & De Cosson, A. (Eds.). (2004). A/r/tography: Rendering self through arts-based living inquiry. Pacific Educational Press.
- Said, E. W. (1978). Orientalism. New York, NY: Vintage books.
- Said, E. W. (1996). Covering Islam: how the media and the experts determine how we see the rest of the world. New York, NY: Vintage Books.
- Siegenthaler, F. (2013). Towards an ethnographic turn in contemporary artscholarship. Critical Arts: South-North Cultural and Media Studies, 27(6),737-752.
- Springgay, S., Irwin, R. L., & Kind, S. W. (2005). A/r/tography as living inquiry through art and text. Qualitative inquiry, 11(6), 897-912.
- Sullivan, Graeme (2008). Afterword. In Springgay, S., Irwin, R. L., Leggo, C., &Gouzouasis, P. (2008). Being with a/r/tography. BRILL.
- Wilson, Sylvia. (2004). Fragments: Life Writing in Image and in Text. In Irwin, R. L., & De Cosson, A. (Eds.). (2004). A/r/tography: Rendering self through arts-based living inquiry. Pacific Educational Press.